انفسهم فيذكرون ارقاما متناقضة ومبالغا بها بعض الشيء عندما يسألون عن عددهم ، فأحيانا نجد العدد ٥٠٠ واحيانا اخرى الف ، ومن الجدير بالذكر انهم يقرنون هذه الارقام اثناء الحديث عن عددهم « بالالاف من اخوتنا الذين يعيشون في المنفى ويعتزمون المجيء الى ارض الاباء » وفي بعض الاحيان « الملايين من اخوتنا ... » . ومع ذلك يمكن القول ان عدد افراد هذه الجالية يناهز المئتين ولا يتعدى الثلاثمائة . ولكن هل باستطاعة هذا العدد البسيط ان يحدث هذه الضجة ؟. الحقيقة ان الضجة التي رافقت مجيء العبرانيين لا تعود اليهم او الى معتقداتهم بقدر ما تعود الى الطبيعة العنصرية للمجتمع الاسرائيلي. فبالاضافة الى سياسة المحاصرة والتجويع التي مارستها السلطات الاسرائيلية ضدهم ، والمقاطعة المشفوعة بافتراءات وتهم من قبل اليهود البيض ، حرم معظم اطفال الجالية « العبرية الاسرائيلية » من الالتحاق بالمدارس ، لامتناع المؤسسات الثقافية عن استيعابهم بحجة انهم لا يحملون بطاقة مهاجر . ويعي العبرانيون السود السياسة العنصرية التي تمارسها اسرائيل ضدهم . ويكشف « جبرائيل كتان » هذه السياسة بقوله : « الحقيقة انهم لا يريدوننا ، ان اسرائيل تمارس سياسة عنصرية وتنجح في التستر على كراهيتها للسود ، بيد اننا كشفنا القناع عن وجهها الحقيقي ، لذلك فنحن نعرف كيف ندافع وكيف نعمل للحصول على حقوقنا »(٢١).

ويعترف بعض الاسرائيليين (البيض) مثل موشيه لايفشتس من سكان ديموناه — بالرغم من انه طالب بطرد العبرانيين السود — بالتعصب العنصري الذي اخذ ينمو بين صفوف الاسرائيليين مع قدوم الجالية اليهودية السوداء بقوله : « يؤلمني مصير هؤلاء السود ... ويؤلمني بشكل أشد العنصرية التي اخذت تنمو في اوساطنا والتي من شأنها ان تشوه شكل دولتنا وطابعها » .

لم تقتصر سياسة التمييز الموجهة ضد ابناء العبرانيين السود ، والنابعة من الطابع العنصري للمجتمع الاسرائيلي ، على الاحياء منهم فقط ، بل تشمل ايضا الاموات . فقد حدث ان توفي طفلان من ابناء الطائفة العبرانية ، ووقف المسؤولون عن الدفن حيارى من امرهم ، هل يوارونهما التراب في المقبرة اليهودية او في مقبرة جديدة ؟ واستقر الرأي على احاطة المقبرة اليهودية بسور وان يوارى جثمان الطفلين الاسودين خارج السور .

قبل ان نتطرق الى وضع العبرانيين السود في اريحا والى معاملة العرب لهم تجدر بنا الاشارة الى ان قضية ابناء الطائفة قد شغلت معظم المؤسسات الرسمية العليا في اسرائيل ، بما في ذلك محكمة العدل العليا والكنيست ، وبعثت من جديد قضية من هو يهودي ؟ واثارت الجدل حول قانون العودة لعام ١٩٥٠ الا ان أهم شيء في قضية العبرانيين السود يتمثل في الطريقة التي عالجتها المؤسسات الرسمية والتي تفوح بالرائحة العنصرية . وسنورد هنا الحديث الذي جرى اثناء طلب قدمه المحامي « بن منشيه » الى محكمة العدل العليا لايقاف الامر الذي صدر بحق ٨ من ابناء الطائفة بمغادرة البلاد ، وقد اشترك في الحوار المحامي والقاضيان « ميني » و « كيستر » .

« القاضي ميني : هل لديكم اثبات بانكم من نسل الاسباط العشرة ؟ هل توجد لكم شجرة عائلة ؟

المحامي : من المعترف به ان اليهودي هو ابن ام يهودية ، ومن هي الام اليهودية ؟ هي ابنة ام يهودية وهلمجرا . ان موكلي يدعون بأنهم من نسل الامة العبرية .

القاضي ميني (بتهكم) : العبرانيون هم اولئك الذين عبروا النهر ، وكذلك هؤلاء عبروا النهر ، ولكن نهر المسيسيبي » .

المحامي : يواجه موكلي مأزقين : انهم يهود وايضا سود .

القاضي ميني : ليست هنالك ولو ذرة تمييز بسبب اللون .

المحامي : انهم يقولون بانهم عبرانيون بيد ان الجميع يلقبونهم بالسود .

القاضي كيستر : ان الفلاش ليسوا بيضا ومع ذلك لم يطردوا من البلاد .